2021

بسم الله الرحمن الرحيم

تزكية النفوس

للشيخ فريد الأنصارى رحمه الله

ملف خاص

تفريغ واعداد

أبو الحسن الحنـاوى

مقدمـة

الحمـد لله والصلاة والسـلام على رسـول الله وآله وصحبه ومن والاه.

أيها الأخوة والأخوات الكرام والكريمات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

أسعدُ بلقائكم من جديد مع درس للعالم الرباني الشيخ / فريد الأنصارى رحمه الله تعالى وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، اللهم آمين.

والحقيقة أنه تناول موضوعاً هاماً جداً ، لابد لكل مسلم ومؤمن أن يُنور عقله وقلبه بهذا المعني الدقيق الذى ساقه الشيخ ، وقد دلل عليه بالآيات البينات والأحاديث واستنبطه ليُهديه لنا كمنهج نسير عليه على بصيرة من أمر ديننا ، وكطوق نجاة في آخرتنا حين لقاء ربنا جل وعلا.

والموضوع يدور حول أهمية معرفة كل إنسان بصورته النفسية الحقيقية وليس نفسه أو هيئته البدنية فقط.

وعلي العاقل أن يسلك نهج تطهير نفسه من ارجاسها وأدناسها أولاً بأول وتعطيرها بأدوات النظافة والتطهير والتعطير المناسبة ، حتي تصفو نفسه وتشف ، فتصحبه الملائكة وتسانده وتؤيده ، ويحالفه التوفيق ويكون في معية الله عزوجل الى أن يُقبض على حال طيب وسعادة.

أما أصحاب النفوس الخبيثة والتي تنتّنت وتجيّفت رائحتها بسبب اقترافها الذنوب والمعاصي والإصرار عليها واستمراء فعلها ، فتنفر منها الملائكة وتحتوشها الشياطين وتسلك بها طريق الضلال والخسران.

هذا وبالله التوفيق ،،،

إن الحمد له نحمده ونستعينه وتستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانه ونصح الأمة ، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد أيها المؤمنون .. فإن الإنسان المؤمن مطالبٌ بأن ينظر الى صورته صباح مساء.

صورة النفس وليس صورة البدن

ينظر صلاحها وفسادها ، والصورة المقصودة في هذا السياق ، إنما هي صورة النفس ، لأن غالب نظرنا إنما هو الى صورة البدن ، والله جل وعلا لا ينظر الى صور الوجه وإنما ينظر الى صورة النفس.

كما في الحديث الصحيح: (إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.)

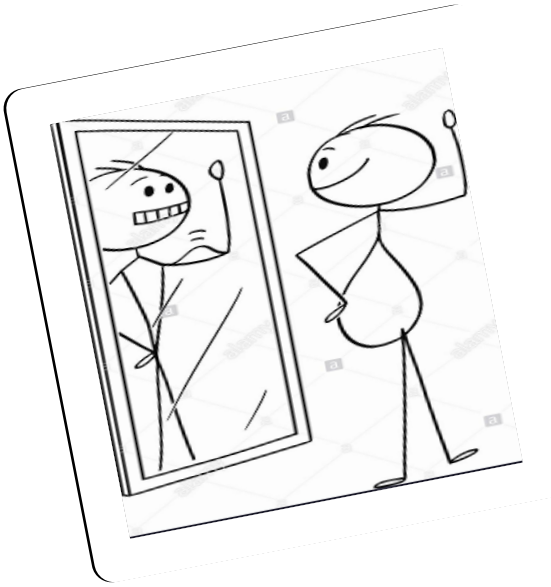

وللنفس صورة تحْسُنُ وتقبح على ميزان العمل ، النفس الإنسانية لها صورتها التي خلقها الله وسواها وبرأها.

وهذه الصورة العبد يُحسّنها بالأعمال الصالحة حقيقة لا مجازاً.

ويُقبّحها بالأعمال الطالحة الفاسدة حقيقة لا مجازاً.

النفس لها جمال ونور بفعل الخير

معني هذا الكلام أنه كما أنا وأنت عندنا صورة بدنية ، وهيئة جسمانية ، من رأس وأطراف وسائر مكونات جسم البدن ، تراوح سيماؤها بين قبحٍ وجمال ، فكذلك النفس الإنسانية ، النفس الساكنة في أجسامنا وأبداننا ، هذه النفس لها جمال ، ولها نور، إذا نورها صاحبها بالأعمال الصالحة.

والنفس لها قبح ونتانة بفعل الشر

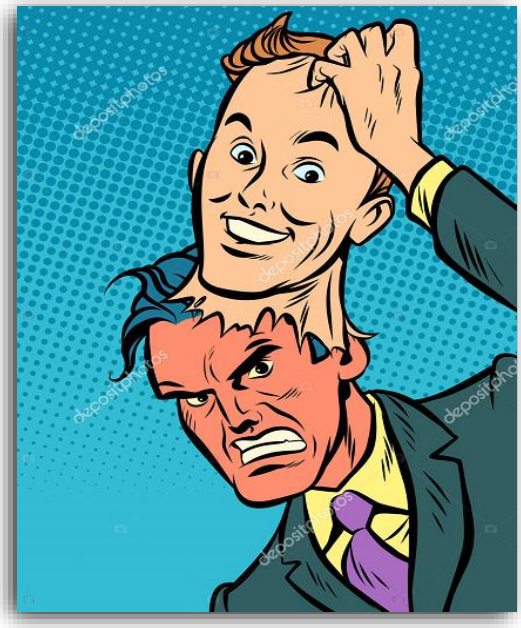

ولها ظلمات وقبح وريح مُنتن ، رائحة كريهة خبيثة ، إذا خَبّثها العبدُ بالأعمال الطالحة الشريرة.

وذلك في كتاب الله وفي سُنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كثيرٌ جداً.

ما من عملٍ يعمله ابن آدم في الخير أو في الشر، إلا كان له أثره ، جمالٌ في الخير وقبح في الشر على تلك النفس.

فأى خيرٍ تعمله من الأعمال الصالحة تراه يزيدك جمال ، في صورتك النفسانية ويعطيها من الطيب كالمسك ، كأجود طيب وجدته بأنفك.

فإن عملت سوءً أو شراً مثلما يقترف الإنسان الخطيئة والشر ، ترى صورته النفسانية تقبح وتخسر وتلحقها ريح منتنة ، تجدها رائحة خبيثة كرائحة الجيفة بل كأخبث ريح جيفة وجدتها بأنفك قط .. كما سيأتي بيانه.

ولهذا الملائكة تقرب من العبد الصالح ، وتؤيده وتسدده ، وتدعوا له ما تطيبت نفسه من الروائح الطيبة الروحانية.

تأييد الملائكة للعبد الصالح

والعبد المؤمن الذى صَلُحَ عمله وحَسُنت هيئته النفسانية ، وتناثر عطر روحه روْحاً وريحاناً ، تقربه الملائكة وتجلس اليه الليل والنهار تحرُسُه وتسدده وتؤيده وتلهمه دائما العمل الصالح.

ولذلك العبد المؤمن دائما يجد شجاعة على فعل الخير ، ويجد نشاطاً نفسانيا للعمل الصالح لأن الملائكة تحثه على الخير وتحبب له الخير.

والأحاديث في هذا كثيرة مستفيضة ، سنذكر بعضها بحول الله.

الشياطين تتنزل على النفس الخبيثة

بينما العبد يغرق في الخطايا .. ولم يتطهّر ، يعمل الخطيئة ولم يتب ، ويستمر في عمل الخطايا ولا يتطهر ، فتنتن رائحة نفسه ليست رائحة البدن ولكن رائحه نفسه .. تصبح خبيثة ، نتنة رائحة جيفة ، تنفر منه الملائكة وتهرب منه ، لا تطيق رائحة نفسه المنتنة ، ولا تطيق الجلوس اليه ولا الإقتراب منه.

فماذا يحصل؟

تحل به الشياطين ، تنزل عليه الشياطين وتتلبّسه ، وتتخبّطه فلا يُدفع عنه الشر ولا يستحلى إلا الخبائث.

هذا الصنف من الناس يجد من أعمال الشر لذيذة ، بما وقع في قلبه من الخبائث وبما نفرت منه الملائكة وحلّت به الشياطين تؤزه أزّاً وتستهزه استهزازاً ، ولا تدله الا على الشر.

حديث الإحتضار

ورد في حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ العبدَ المؤْمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا ، وإِقْبالٍ من الْآخِرَةِ ، نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ بِيضُ الوجُوهِ ، كأَنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ ، معهُمْ كفنٌ من أَكْفَانِ الجنَّةِ ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتى يَجلِسَ عندَ رأسِه فيَقولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إلى مغْفِرةٍ من اللَّهِ ورِضْوَانٍ ، فتخْرُجُ تَسِيلُ كما تسِيلُ القَطْرَةُ من فِي السِّقَاءِ ، فيَأْخذُها ، فإذا أَخَذَها ، لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَيْنٍ ، حتى يَأْخُذُوها فيَجْعَلُوهَا في ذلكَ الكَفَنِ وفي ذلكَ الحَنُوطِ ، فيَخْرُجُ منها كأَطيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ ، وُجِدَتْ على وجْهِ الأرضِ.

وهنا الشاهد أنَّ النفس الطيبة :

تخرج كأطيب نفحة مسك

وُجِدَتْ على وجْهِ الأرضِ

ترحيب ملائكة السماء

فيَصْعَدُونَ بِها فلا يمُرُّونَ بها على مَلَكٍ من الملائِكَةِ ، إلَّا قالُوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟

والشاهد هو استبشار الملائكة برائحة النفس الطيبة العطرة وابتهاجهم بها ، تلك النفس التى تزيّنت وتطيّبت وتطهّرت باعمالها الصالحة.

وذلك أن هذا الجسد نبت من حلال وما مسه الحرام ، فان وقع في غفلة تطيّب وتطهّر بسرعة ، توبة نصوحاً الى الله الواحد القهار فلا يبقى من درنه شيئ.

فلا يعلق شيئ من الأوساخ والقبائح بنفسه.

نتن النفس الخبيثة

لكن الكافر والعياذ بالله حينما يتوفاه الله عزوجل يرسل اليه هذان الملكان فيقولان أيتها النفس الخبيثة اخرجي من الجسد الخبيث .. فقال رسول الله عليه وسلم في السياق فتخرج كأنتن جيفة وجدها أحدكم بأنفه قط.

يعني العكس تماما .. تخرج هذه النفس كأخبث ريحة ، المُجيَّفة النتنة أخبث رائحة تخطر في بالك أو تقع على أنفك في حياتك.

هذه النفس ، النفس حين تفارق البدن ، ويؤول البدن الى التراب ، ويأكله الدود ويفني ، تبقى النفس بعد ذلك ، برائحة طيبة إن كانت من أهل الإيمان أو برائحة خبيثة ، إن كانت من أهل الكفر والفسوق والعصيان.

فلا تُفتّحُ له أبواب السماء

وفي أرجاء السماء ملائكة يقولون سبحان الله لقد جاء من الأرض اليوم جيفة خبيثة ونسمة خبيثة ، فلا تُفتّحُ له أبواب السماء ، ويضيق عليه في قبره ..

كما جاء في تكملة الحديث:

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من اللَّهِ وغَضَبٍ ، فَتَفْرُقُ في جَسَدِهِ فيَنتَزِعُهَا كَما يُنتَزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المَبْلُولِ ، فيَأْخذَها ، فإذا أخذَها لَم يَدعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ حتى يَجْعَلُوهَا في تِلْكَ

الْمُسُوحِ ، يخرجُ منها كأَنْتَنِ ريحِ جِيفَةٍ، وُجِدَتْ على ظَهْرِ الأَرضِ فيصْعَدُونَ بِها، فلا يَمُرُّونَ بها على مَلَكٍ من الملائِكَةِ إلَّا قَالُوا: ما هذا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فيَقُولُونَ: فُلَانُ بنُ فُلَانٍ بأَقْبَحِ أسْمَائِهِ التي كان يُسَمَّى بِهَا في الدُّنْيَا، حتى يَنْتَهِيَ بِهَا إلى سمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لهُ ، فلا يُفْتَحُ لهُ.

ثم يرد الى قبره ويضيق عليه فيه والعياذ بالله.

إذاً النفس الإنسانية تحمل من رائحة العمل طِيباً أو خُبثاً.

ولهذا وجب أن نفهم:

أن الحرام خبيثة من الخبائث ، إذا اقترفها العبدُ اتسخت نفسه.

الحرام خبيثة من الخبائث تلطّخ نفس العبد

الجرم في عالم الروح لا ينقطع

وذلك أننا نتصور أن الحرام حينما نقوم به وننتهي منه يكون فعلٌ زائلٌ عادى .. لا أبداً ، صحيح انك تقوم بعمل خير أو شر وإذا انقطعت عنه انتهي وأصبح ماضياً ، هذا هو الظاهر من حيث مقاييس الجسمانية ، بمقاييس المادية التي ترجع الى مقياس العين أو الأذن أو الأنف ، أو الحواس.

ينقطع الفعل بالحواس .. لكن في عالم الروح لا ينقطع.

الفعل من خير أو شر يصير كصفة اتصفت بها يومئذ في نفسك .. أنت لا ترى ذلك ..

- ولكن الله يرى ذلك
- والملائكة تبصر ذلك منك.

ميزان تمايز النفوس

- فهذه نفس طيبة طاهرة تبدو شفافة للملائكة
- وتلك نفس خبيثة طالحة تبدو كذلك قاتمة لملائكة ، فتنفر منها وتحل بها الشياطين والعياذ بالله.

ولهذا لعل هذا ميزان نفهم به كثيرا من الآيات .. ومن الأحادث النبوية، التي تؤكد أن:

- النفس تتأثر بالأعمال الصالحة .. صلاحاً ، وطِيباً وجمالا ونوراً.
- وتتـأثر بالاعمال الطالحة .. خبثاً ورائحـــةً كريهةً نتنة .

الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ معنوى

لما قال الله عزوجل في حق المشركين : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

فهذه النجاسة .. كثيرٌ من علماء التفسير حملوها على النجاسة المعنوية وهو الحق إن شاء الله ..

لأن البدن إن اصابته نجاسة يمكن أن يتطهر ، يعني الطهارة الحسية إنما تلحق بالبدن ، أما الطهارة المعنوية بالمعني الروحي للكلمة لا بالمعني الفقهي الإصطلاحي فإنما تكون بالنفس لا بالبدن.

المؤمن لا ينجَس

وبالمقابل لهذه الآية حتي تُفهم على وجهها الصحيح .. حديث أبو هريرة رضى الله عنه الذى قال فيه أَنَّهُ لَقِيَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ ، فَانْسَلَّ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ، فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: "أَيْنَ كُنْتَ؟ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ" قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "سُبْحَانَ الله إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجَسُ".

مع أن الجنابة نجاسة .. فماذا يقصد عليه الصلاة والسلام .. أن نفس المؤمن طاهرة .. والبدن شيئٌ آخر.

مقاييس البدن تطهر بها البدن من مياه الوضوء والإغتسال وما شابه ذلك من سائر أنواع إزالة النجاسات والجنابات.

طهارة النفس غير طهارة البدن

أما النفس المؤمنة فإنما تَطْهُرُ بشيئ آخر .. تطهر بالأعمال الصالحة ، بالعبادات بترك المنكرات والمحرمات.

ونفس المؤمن لا تنجس ، لماذا ؟

لأنها تتطهر بالصلوات بالوضوء بالأعمال الصالحة بالتوبة النصوح وبتجديد التوبة واعمال البر يومياً .. بالذكر وقراءة القرآن وبسائر أعمال الخير ، وبذلك تطهر النفس ولذلك قيل المؤمن نقي.

وعلى هذا كثيرٌ من النصوص في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وحديث آخر متعلقٌ بوسخ القلوب ..

قالَ حُذَيْفَةُ رضى الله عنه : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها ، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها ، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ.

استمراء الخطايا وعدم التوبة منها

وذلك يعني أن الإنسان عندما يقترف خطيئة ، فإن أشربها قلبه أى يقبلها ولا يتوب منها ، فتبقي في القلب نقطة سواء.

إنما المقصود ههنا القلب بمعني النفس وليس العضلة التي تضخ الدم.

لأن النفس هي التي تتسخ بهذا الوسخ المعنوى ، حتى إذا تراكم ذلك ، قال عليه الصلاة والسلام في النفس التى تراكمت خطاياها ، حتي يصبح ويعني ذلك القلب المتسخ ، أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا.

وذلك مثل الإناء الذى يستعمل مرة بعد مرة دون غسله بعد استعماله ، فتتراكم عليه طبقات الأوساخ طبقة فوق طبقة.

وعدم غسل الإناء إشارة إلى عدم الإقلاع عن الذنب وعدم التوبة منه.

فأصبحت نفسه بسبب هذه الأوساخ معزولة عن النور معزولة على الطيب معزولة عن الخير ، يُفرّق بينه وبين الخير الشياطين من الجن والإنس وأوساخه من الذنوب ..

وهذه المعاني ، قلت في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام الكثير الكثير.

الذنوب فصيلة واحدة هي الخبائث

فعل الذنوب شيئ واحد ، لا يجوز أن نفرق بين ذنب وذنب من حيث طبيعة الذنوب ، صحيح أن هناك كبائر وصغائر ، لكن في نهاية المطاف فالذنوب هي فصيلة واحدة ، هي الخبائث والأوساخ.

ولذلك قال الله عزوجل في وصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ الأعراف

ويحرم عليهم الخبائث .. جمع خبيثة

(عن ابن عباس: " ويحرم عليهم الخبائث "، وهو لحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرَّمات من المآكلِ التي حرمها الله).

فكل النصوص تجمع على أن الذنوب شيئ وسخ ، شيئ نجس ، لكن هذه النجاسة والوساخة هو معنوى يلحق بالنفس فيلطخها ، ويجعل لها رائحة كريهة ترفضها الملائكة ، وتُغلق دونها أبواب السماء ، ولا يصبح لها يومئذ إلا الحجيم والعياذ بالله.

لا ينبغي على المؤمن التجرؤ على المنكرات

لذلك .. إذا عرف الإنسان المؤمن هذا .. فلا ينبغي أن يتجرأ على المنكرات من الكبائر والصغائر جميعاً ، بل يجب أن يتحرز منها كما تحرزأحدكم من النجاسة.

إذاً .. من همّت نفسه بمُحَرّمٍ من الزنا أو من الخمر أو من الربا أو من أى منكر من المنكرات ، فليتذكر أن الذنب له طبيعة واحدة وليتذكر أنه هو والجيفة سواء.

عاقبة الترخص في المحرمات

إذاً فإنك إن تريد أن تترخص كما يصنع كثير من الناس اليوم تتبعوا الرخص ، الرخص في تناول الخمر أو بيعها أوشربها أو تناول الربا أو أكله أو اى من المنكرات ، الناس يسعون الى الترخص .. !!

أتدرون ما تصنعون ؟؟

إنها جيف ستلطخون بها أنفسكم ، وستنفر منكم الملائكة وتحل بأنفسكم الشياطين.

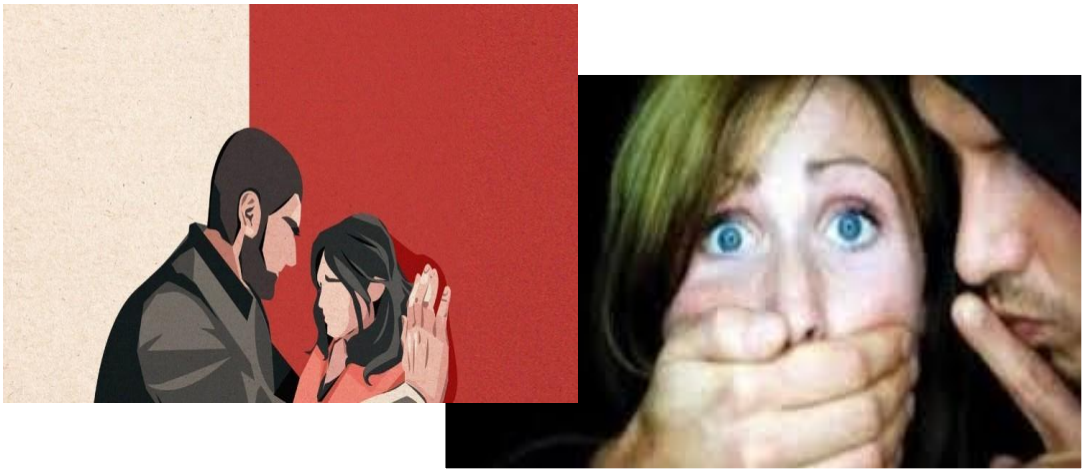

تأكل ما قيمته جرام من حرام ، ثم أكثر وبعد ذلك كيلو من حرام .. وهكذا حتي يصبح قلبك ..

كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

إحذر أن تُقبض علي معصية

فما يدريك أن يقبض الملك روحك وأنت على هذا الحال ؟؟

وتكون من ذلك الصنف الذى حدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقول الملائكة أخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث فتخرج كأنتن جيفة وجدها أحدكم بأنفه قط ، وتبرأ منك ملائكة السماء ، لا تفتح لك أبوابها وتلقى مرة أخرى الى قبرك ويضيق عليك فيه.

الحرام خبيثة من الخبائث فلا تلطخ نفسك به بل طهرها بالأعمال الصالحة وانقطع عن الحرام وتبرأ الى الله من كل ذنب فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، هكذا في كتاب الله عزوجل.

التوبة هي التطهر من أنجاس النفس

وفي دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الله: اللهم إجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين .. هكذا كان يقول عليه الصلاة والسلام.

التوبة هي التطهر .. لأنك حينما تتوب تتطهر من تلك الأنجاس والأرجاس.

ولهذا المؤمن حين يتطهر تصفو نفسه من الأدران ، تغتسل نفسه وتصبح شفافة كالبللور ، صافي النفس .. صافية واضحة شفافة نقية طاهرة ، ولها ريح كأطيب ريح وجدها أحدكم بأنفه ، كأطيب مسك على جمال وبهاء هذا معني التوبة في مجال النفس وفي مجال الروح.

التوبة والإستغفار نوع من التطهر

فالتوبة نوع من التطهر / نوع من الاغتسال ، شلال الإيمان ينزل على نفسك فتصفو من أدرانها وأوساخها.

ولذلك جاء في كثير من الأحاديث عن الأعمال التي تطهر بها النفس من أدرانها مثل حديث الصلوات الخمس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمساً ، هل يُبْقي من درنه شيئاً قالوا: لا يبقي من درنه شيئاً قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» هذا مثل ..

فالصلوات الخمس تغتسل بها من أدرانك فتطهرك من الخطايا والذنوب التي إقترفتها وكل إبن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

وكذلك سائر أعمال البر .. « وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا ، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ. »

حينما يكتب الله عليك الخطيئة بادر الى التبرأ منها توبة وندماً ثم في نفس الوقت بادر الى عمل صالح لينقي ما كان من النفس.

ادوات التطهير للنفس هي أعمال البر والصلاح.

- فإذا ضاقت نفسك بالخطيئة فتلك أمارة بالخير وعلامة أنك نفسك حية

قال تعالى : لتنذر من كان حياً ..

- أما من لم تضيق نفسه بفعل المنكرات ولا يشعر بخطورة ما يرتكب من الذنوب فنفسه ماتت.

ولهذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: » اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد».

وهذه كلها كنايات .. الماء هو الماء والثلج معروف وكذلك البرد ، فليس المعني أن تأخذ ذلك حرفياً .. ولكن المقصود تنقية النفس وتطهيرها من الخطايا.

تطبيقات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ المائدة

** بين الله عزوجل أن أعمال المنكر المحرمة هي "رجس" معنوى من عمل الشيطان فهي كالأدوات التي يُغوى بها النفس البشرية ويُوقع بها في شَرَك الذنوب فيتكدر صفوها وتتلطخ بالأرجاس وتخبُث ريحها.

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ الأنبياء

** ذم الله عزوجل أعمال قوم لوط المنكرة المحرمة ووصمها بالخبائث فكل عملٍ محرمٍ منكرٍ هو خبيثة من الخبائث.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ هود

** من رحمة الله عزوجل أن جعل الأعمال الصالحة ماحية للذنوب مطهرة للنفوس وعلى رأس هذه الأعمال الصلوات المفروضة والنوافل.

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ التوبة

** أكّد المولى عزوجل أن المنافقين رجس ونجس بمعني أن نفوسهم غير نقية وغير سليمة ، بل هي ملطخة بالنفاق والكذب ومتابعة الشيطان فمآلهم جهنم بما كسبت أنفسهم من أعمال الشر والنفاق والبعد عن الخير.

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ التوبة

** بيانٌ من الله عزوجل أن المنافقين قد أُشربت أنفسهم الفتن ، فقبلوها ولم يتوبوا منها ولا يتذكرون ، فأصحبت قلوبهم لا تعرف معروفا ولا تنكر منكراً ، ولذا فإن الله عَجَّب عبادَه المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلّة تذكرهم ، وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ الحج

** عدّ الله عزوجل الأوثان من ثماثيل وغيرها والتي تُعبدُ من دون الله رجس .. وضم الى ذلك "قول الزور" لأن الذنوب كلها فصيلة واحدة تؤول الى الخبائث التى تحول بين صفاء النفوس وخفّتها ونضارتها.

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ الأحزاب

** أخبر الله تبارك وتعالى بأنه يُريد أن يغسل أنفس أمهات المؤمنين ، زوجات رسول الله ، من الأدران والأرجاس ، ويطهر نفوسهن تطهيراً بالتوبة عليهن والمغفرة لهن وحفظ قلوبهن من همزات الشياطين ، وإبعادهن عن كل ما يعكر صفو نفوسهن ، ويهديهن الى اعمال البر والخير من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله في عمل الخيرات المختلفة والعبادات المتنوعة ، والحكم يسرى على كل أمة لله من المسلمات والمؤمنات.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " الطُّهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه ، فمعتقها ، أو موبقها". (رواه مسلم).

** أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الجامع الشامل لمعني زيادة نور النفس بالصلاة وشدة ضياءها بالصبر ورُقيها بالذكر وتشريفها بالانتساب الي الإيمان بكثرة الوضوء ، فتلك كلها من أعمال الخير والإيمان التي ذكرها رسول الهدى صلى الله عليه وسلم يظلُ أثرها على نفس العبد فتنتشي وتنشط في طاعة الله وحبه وحب لقائه .. !!

فهو إذاً مُعتق نفسه باتباع هُدى الله أو مُوبقها بالتنكب عن طريق الله القويم ، فيلحقُ بها العار والشنار والخسران حيث أنه دنّس نفسه بالبُعد عن فعل الطاعات والخيرات ومال الى فعل الذنوب واستمرأ الحرام وزج بنفسه في بؤرة الخبائث والمنكرات ، فأصبحت نفسه خاملة خبيثة قاتمة كريهة الرائحة وإن لم يدرك ذلك ولكن الله يعلمه والملائكة تراه.

ونكتفي أيها الأحبة بذلك القدر الإرشادى .. وإن كنت أحسنت فمن الله وإن كنت أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ، نفعني الله واياكم بهذا ، وزادكم وإيايّ من العلم والفضل العظيم إنه ولى ذلك والقادر عليه اللهم آمين.

هنـيئا لكل من إنتفع بهذا العلم

والحمد لله رب العالمين ، الذى تتم بنعمه الصالحات ، فقد هدانا ووفقنا ويسير لنا .. فله الحمد والمنة على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار.

اسأل الله القبول ، وصلاح الأعمال والتوفيق ، والمغفرة الواسعة لى ولوالدىّ ولكل من له حقٌ علىّ ، اللهم تقبل هذا العمل كصدقة جارية لى وعن والدىّ يا جواد يا كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ابوالحسن بن سـعد الحناوى

فيينا في 4 من أبريل 2021